

الترحم على المشاهير غير المسلمين في العالم الأسباب والعوامل



This work is licensed under a
Creative Commons Attribution-
NonCommercial 4.0
International License.

الدكتور/ نايف بن ناصر المنصور

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية سابقاً

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٣ نوفمبر ٢٠٢٣ م

عقيدته ومجتمعه، والنتائج والتوصيات التي ينتهي إليها الباحث

بعد الانتهاء من البحث..

الكلمات المفتاحية: ترحم، مشاهير، غير مسلمين

Abstract

Praise be to God, and prayers and peace be upon the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him. Next:

When a famous non-Muslim person dies, whether of prestige, position, artistic or sports personality, or what is called nowadays (social media) celebrities, and this person has a great influence through his daily practices or practical activities in doing good and favor to others, and supporting human rights In several images, groups of Muslims begin to sympathize with him and mourn his loss for the good he did,

الملخص

عندما يموت إنسان مشهور غير مسلم سواءً ذو جاه أو منصب أو شخصية فنية أو رياضية، أو ما يسمى في وقتنا الحاضر مشاهير (السوشل ميديا)، ويكون لهذا الإنسان تأثير كبير من خلال ممارساته اليومية أو أنشطته العملية في بذل الخير والمعروف للآخرين، ودعم حقوق الإنسان في عدة صور، تبدأ فئات من المسلمين بالتعاطف معه والحزن على فقده لأجل ما فعل من خير، وسؤال الله له الرحمة والنجاة من النار، متناسين أو جهلاً منهم أن الترحم على غير المسلم إذا مات لا يجوز؛ أو يتأولون القرآن بتأويل فاسد يوافق هذا الهوى والرغبة في الترحم على هذا الإنسان غير المسلم لأن ذلك يخالف العقيدة، وفي هذا البحث أسلط الضوء على هذا الموضوع ببيان أسباب حدوث مثل هذا الأمر بين أوساط المسلمين، وذكر ما ورد في القرآن والسنة وكلام السلف الصالح في بيان حكم الترحم على غير المسلم وأثر ذلك على

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:70-71].
 أن الله تعالى بعث نبينا محمدا -صلى الله عليه وسلم- إلى الخلق كافة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:28]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:158].

وجاء في السنة المطهرة عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس كافة».
 وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار».
 فكل من لم يدخل دين الإسلام الذي بعث الله به محمدا -صلى الله عليه وسلم- فهو كافر.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:19].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:85].

and ask God for mercy and deliverance from Hell, forgetting or ignorant of them that mercy on a non-Muslim if he dies is not permissible; Or they interpret the Qur'an with a corrupt interpretation that is in accordance with this desire and the desire to have mercy on this non-Muslim person, because that contradicts the belief.

In this research, I shed light on this topic by explaining the reasons for the occurrence of such a matter among Muslims, and mentioning what was mentioned in the Qur'an, Sunnah, and the words of the righteous predecessors in explaining the ruling of mercy on a non-Muslim and its impact on his faith and society, and the results and recommendations that the researcher ends with after completing the research. .

Keywords: mercy, celebrities, non-Muslims

* المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:102].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح:13].

من هذا المنطلق أود الإشارة إلى أمر يجب الانتباه له ولا سيما في هذا الزمان وهو أن بعض الناس قد اغتر ببعض تعاملات الكفار، فأعجبته، ومال إليهم بسببها، وأصبح يعظمهم و يستشهد بهم في المجالس والمؤتمرات والندوات وفي وسائل الإعلام المتعددة، مما يؤثر على الآخرين وتميل قلوبهم لهم، والله تعالى نهي عباده أن يغتروا بالكفار؛ فقد قال تعالى: ﴿لَا يُغْنِيكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [آل عمران:196]، وقال تعالى: ﴿لَا يُغْنِيكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [طه:131]، ثم أن هذه الأخلاق الحسنة التي يتعامل بها الكافر مع غيره، لا يرجو بها ثواباً من الله والدار الآخرة، إنما هي مصادعة لأمر الدنيا وكسب المصالح الخاصة، وغير ذلك من الأسباب.

فعندما يموت إنسان مشهور غير مسلم سواءً ذو جاه أو منصب أو شخصية فنية أو رياضية، أو ما يسمى في وقتنا الحاضر مشاهير (السوشل ميديا)، ويكون لهذا الإنسان تأثير كبير من خلال ممارساته اليومية أو أنشطته العملية في بذل الخير والمعروف للآخرين، ودعم حقوق الإنسان في عدة صور، تبدأ فئات من المسلمين بالتعاطف معه والحزن على فقدته لأجل ما فعل من خير، وسؤال الله له الرحمة والنجاة من النار، متناسين أو جهلاً منهم أن الترحم على غير المسلم إذا مات لا يجوز؛ أو يتأولون القرآن بتأويل فاسد يوافق هذا الهوى والرغبة في الترحم على هذا الإنسان غير المسلم لأن ذلك يخالف العقيدة الإسلامية.

* أهمية البحث

تكمن أهمية البحث بعد انتشار موجه في العالم العربي والإسلامي حيال الترحم على من مات من غير المسلمين والدعاء له بالمغفرة، نتيجة عمل خير قام به متناسين أو متجاهلين خطورة هذا الأمر على العقيدة والتعرض لسخط الله وعقابه.

* اسئلة البحث

- 1- ماهي كيفية التعامل مع غير المسلم والأدلة على ذلك من الشرع.
- 2- ما الواجب علينا تجاه من مات من المحسنين وأصحاب الاثر الجميل في العالم من غير المسلمين
- 3- ما هو مصير الكفار بعد الموت.

* أهداف البحث

- 1- توضيح المنهج الشرعي السليم في التعامل مع غير المسلمين، والعمل على تعليم الناس ذلك المنهج؛ لتحقيق الغاية المرجوة منه.
- 2- الرد الشرعي الصحيح على من يريد تشويه العقيدة الإسلامية في التعامل مع غير المسلمين.
- 3- مناقشة الشبهات التي تدول حول الترحم على غير المسلم ودحضها.

* الدراسات السابقة للموضوع

لم أقف على دراسات إنما دراسة واحدة بعنوان (الإعلام بحكم الترحم والاستغفار لمن مات على غير دين الإسلام) للدكتور خباب مروان الحمد على شبكة الألوكة، تناول فيها الموضوع من الجانب الشرعي، ويوجد مقالات متفرقة عن الموضوع في الشبكة العنكبوتية.

* ما يضيفه البحث

١- إبراز الأدلة من الشرع التي تتضمن ماهية التعامل مع غير المسلم.

٢- بيان حدود العلاقة مع غير المسلم من خلال عقيدة الولاء والبراء

٣- التوضيح بأن أهل العلم لم يتركوا مثل هذه الشبهات التي يعتمد عليها بعض المغرضين لتشويه المسلمين دون تنفيذ ورد.

* حدود البحث

تم تحديد مجال البحث حول الموضوع من خلال ما يثبت في وسائل الإعلام المرئي ومن خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

* منهج البحث

دراسة وصفية لهذه الظاهرة واسبابها، واستقراء للنصوص الشرعية المتعلقة بها.

* موضوع التعايش مع الآخرين في الدين الإسلامي

اهتم الإسلام بجانب الأخلاق الكريمة، وحث عليها إذ بها يصل المسلم إلى محبة الآخرين، وأسلوب جميل للدعوة إلى دين الإسلام وبها يجعلهم يحبون الإسلام ويقبلون عليه، فالسماحة والرحمة والمعاملة الحسنة هي التي تجعل الناس يقبلون عليه قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

فكثير من النصوص الشرعية التي تحث المسلمين على العدل والإحسان حتى مع المخالفين، منها:-

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58]، فلم يقل الحق أدوا الأمانات مع المسلمين، ولم يقل افعلوا العدل مع المؤمنين، بل قال ﴿إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، وقال: ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8]، والمعنى واضح وهو أنه لا يجوز أن تظلم أحداً حتى لو خالفك في دينه ومعتقده.

وقد جاء في سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- ما يوضح للمسلم أسلوب التعامل مع غير المسلمين، فجاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- على حسن معاملة المسلم لغير المسلمين والعدل معهم وإعطائهم حقوقهم:-

فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَوْشَنِ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا فِي غَيْرِ كُنْهِهِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

وعن بن أبي ليلى، أن قيس بن سعد وسهل بن حنيف كانا بالقادسية، فمرت بهما جنازة، فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، فقالا: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مرت به جنازة فقام. فقيل: إنه يهودي. فقال: «أليست نفساً؟» () .

وعن أنس، قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم-، فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ، وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ -صلى الله عليه وسلم-؟

وسلم-، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ». وغير ذلك من الأحاديث الشريفة.

* أهمية عقيدة الولاء والبراء بالنسبة للمسلم

هذا الباب باب عظيم من أبواب التوحيد والإيمان، ويجب على كل مسلم أن يتعلمه ويعمل به، وهو واجب ديني ومطلب إيماني من مقتضيات التوحيد ولوازمه، وأصل من أصول العقيدة الإسلامية، ولازم من لوازم كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، ويجب على المرء المسلم أن يوالي أهل الإسلام ويعادي أعداءه، وألا يتخذ الكافرين أولياء يحبهم ويتولاهم بل يُبغضهم

* معنى الولاء والبراء

الولاء والبراء من أعمال القلوب، ولكن تظهر مقتضياته على اللسان والجوارح، والولاء أصله الحب، والبراء أصله البغض.

* الولاء لغة

هو المحبة والنصرة والقرب يقال: والى فلاناً فلاناً: إذا أحبه. وكلٌّ من انضمَّ إليك، فعزَّ بعزك وامتنع بمنعك، فهو مَوْلَاك؛ ولهذا تُسمَّى العَصْبَةُ وبنو العمِّ مَوَالِي، وأصلُ (ولي): يدلُّ على قُربٍ.

* اصطلاحاً

محبة المؤمنين لأجل إيمانهم ونصرتهم والنصح لهم وإعانتهم، وما يلحق ذلك من حقوق المؤمنين.

* البراء لغة

التَّبَاعُدُ مِنَ الشَّيْءِ وَمُزَايَلَتُهُ وَانْقِطَاعُ الْعِصْمَةِ، يُقَالُ: بَرَّتُ مِنْ فُلَانٍ، أَي: انْقَطَعَتْ بَيْنَنَا الْعِصْمَةُ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَنَا

عُلُقَةٌ، وَأَصْلُ (برأ): يَدُلُّ عَلَى التَّفْصِي وَالتَّبَاعُدِ مِمَّا يُكْرَهُ مُجَاوَرَتَهُ.

* اصطلاحاً

بغض أعداء الله من الكفار والمشركين والمنافقين وعداوتهم والبعد عنهم، وجهاد الحريين منهم بحسب القدرة. فالولاء والبراء شرط في الإيمان، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51].

قال الشنقيطي في هذه الآية: «قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ ذكر في هذه الآية الكريمة أن من تولَّى اليهود والنصارى من المسلمين، فإنه يكون منهم بتوليِّه إياهم، وبين في موضع آخر أن توليهم موجب لسخط الله، والخلود في عذابه، وأن متوليهم لو كان مؤمناً ما تولاهم».

وهو قوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: 80-81].

ونهى في موضع آخر عن توليهم مبيناً سبب التنفير منه، وهو قوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَمْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَمْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [المتحنة: 13].

وبين في موضع آخر: أن محل ذلك فيما إذا لم تكن الموالاة بسبب خوف وتقية، وإن كانت بسبب ذلك فصاحبها معذور، وهو قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ

مِنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴿٢٨﴾ [آل عمران: 28].

فهذه الآية الكريمة فيها بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالات الكفار مطلقاً، وإيضاح لأن محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية فيرخص في موالاتهم بقدر المداورة التي يكتفي بها شرهم، ويشرط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالات.

قال ابن باز: «محببة الكفار وإعانتهم على باطلهم، واتخاذهم أصحاباً وأخذاناً، ونحو ذلك: من كبائر الذنوب، ومن وسائل الكفر بالله؛ فإن نصرهم على المسلمين وساعدتهم ضد المسلمين، فهذا هو التولي، وهو من أنواع الردة عن الإسلام؛ لقول الله سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51].»

وقال ابن عثيمين: «موالات الكفار تكون بمناصرتهم ومعاونتهم على ما هم عليه من الكفر والضلال، وموالاتهم تكون بفعل الأسباب التي تكون بها مودتهم، فتحده يوادهم -أي: يطلب ودهم بكل طريق-، وهذا لا شك ينافي الإيمان كله أو كماله؛ فالواجب على المؤمن إعادة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب إليه، وبغضه والبعد عنه، ولكن هذا لا يمنع نصيحته، ودعوته للحق».

فعقيدة الولاء والبراء جزء من معنى الشهادة كما ذكرنا آنفاً: قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: 26-28].

فالتقي الموجود في شهادة: (لا إله إلا الله) يقتضي البراءة من كل ما يعبد من دون الله.

قال ابن كثير: «يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وخليفه إمام الحنفاء، ووالد من بعث بعده من الأنبياء، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها: أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، فقال: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾ أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلا الله، أي: جعلها دائمة في ذريته يقندي به فيها من هداة الله من ذرية إبراهيم -عليه السلام-؛ ﴿يَرْجِعُونَ﴾ أي: إليها».

وقال السعدي: «بخبر تعالى عن ملة إبراهيم الخليل الذي ينتسب إليه أهل الكتاب والمشركون، وكلهم يزعم أنه على طريقته، فأخبر عن دينه الذي ورثه في ذريته.

فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ الذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم ويتقربون إليهم. ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ أي: مبغض له، محتب معاد لأهله.

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ فإني أتولاه، وأرجو أن يهديني للعلم بالحق والعمل به، فكما فطرنى ودبرني بما يصلح بدني ودنياي.

﴿فإنه سيهدين﴾ لما يصلح ديني وأخري. ﴿وجعلها﴾ أي: هذه الخصلة الحميدة، التي هي أم الخصال وأساسها، وهي إخلاص العبادة لله وحده، والتبري من عبادة ما سواه.

﴿كلمة باقية في عقبه﴾ أي: ذريته.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾ إليها ﴿يَرْجِعُونَ﴾؛ لشهرتها عنه، وتوصيته لذريته، وتوصية بعض بنيه؛ إسحاق ويعقوب، لبعض، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة:130] إلى آخر الآيات؛ فلم تزل هذه الكلمة موجودة في ذريته -عليه السلام- حتى دخلهم الترف والطغيان».

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: «فهل يتم الدين ويقام علم الجهاد وعلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا بالحب في الله والبغض في الله، والموالة في الله والمعاداة في الله؟ ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرق بين الحق والباطل ولا بين المؤمنين والكفار ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

* حكم موالة أهل الكفر

كفر وخروج عن الإسلام؛ لأنه ينافي أصل الإيمان، والدليل: قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:22].

وكذلك نهي الله تعالى عن مودتهم؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ

بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المتحنة:1].

* سبب حدوث الظاهرة

* الشبهات الشرعية التي يستند لها المجيزون للترحم على الكافر

هناك بعض الأدلة والمتشابهات التي تمسك بها من

زعم جواز الترحم على غير المسلم؛ منها:-

١- من الشبهات التي يستدلون بها لما ذهبوا إليه أن الرحمة غير المغفرة، والمنهي عنه عدم طلب المغفرة لغير المسلم، بمعنى مغفرة ذنب الكفر الذي اقترفه، أما الرحمة فتجوز؛ لأن الله قد يرحمه بتخفيف العذاب عنه يوم القيامة، حتى ولو لم يخرج من النار، و الرد على ذلك بأن الدليل على عدم التخفيف قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة:161-162]، فضلاً على أن استعمال الرحمة والمغفرة في لغة القرآن الكريم غالباً ما يكون بمعنى واحد وهو النجاة من العذاب؛ لذلك يجعل الله أحياناً الرحمة في مقابل العذاب، مثل قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء:54].

٢- قالوا: إن الآيات التي تنهى عن طلب المغفرة لغير المسلم خاصة بالمشركين، كقصة أبي طالب عم النبي وحال نوح مع ابنه، وإبراهيم مع والده وليست تتعلق بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، حيث أن الله سبحانه أباح التزوج منهم، فكيف يحرم على المسلم أن يترحم على زوجته اليهودية أو النصرانية، والرد على هذا أن كلا من المشركين وأهل الكتاب

كفار بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:6]، فكلهم متساوون في الكفر. محمد -صلى الله عليه وسلم-، وكل من لم يؤمن. محمد فهو كافر، وله عذاب جهنم يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح:13].

3- كلامهم في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ إن رحمة الله تسع كل شيء، والكافر من ضمن هذه الأشياء إذا رحمة الله ستسعه!! والرد على هذه الشبه من خلال إكمال نفس الآية: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزُّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:156]، فرحمة الله مشروطة بالإيمان والتقوى والأعمال المفروضة كالزكاة.

4- فهمهم لقوله تعالى على لسان عيسى -عليه السلام-: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:118]، فلو كانت المغفرة والرحمة غير جائزة للكافر لما جعلها عيسى ﷺ احتمالاً يجوز وقوعه من الله -عز وجل- ولكن لما كانت محتملة ومن الجائز أن يرحمهم الله كما قال عيسى إذا يجوز الدعاء بالرحمة والمغفرة لغير المسلم. والرد على ذلك أن عيسى -عليه السلام- لم يكن في مقام طلب الرحمة لهم والاعتذار عن كفرهم، ولو كان الأمر كذلك لخصم الآية بقوله: وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، ولكن المقام مقام إظهار هيمنة الله -عز وجل- على خلقه، وملكيته التامة لهم يوم القيامة، وأنه القادر عليهم فلا يعجزه شيء من أمرهم، فعيسى -عليه السلام- يعلن تبرؤه من كفرهم، ثم بعد ذلك يعلن مدى قوة الله وقدرته التامة

على كل شيء، وأنه نافذ التصرف في عباده، إما بتعذيبهم أو برحمتهم ومغفرة ذنوبهم؛ لذلك ختم الآية بقوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إذا الآية ليست لطلب الرحمة لهم، وإنما لإظهار قدرة الله التامة عليهم، وتصرفه الكامل فيهم.

5- قالوا: إن قوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم:35-36] يدل على جواز الترحم على غير المسلم، لأن إبراهيم ﷺ طلب الرحمة لمن عبد الأصنام.

والجواب عن هذا: أن هذه الآية مقصود بها طلب الرحمة للمشارك الذي على قيد الحياة، بأن يتوب من شركه، فيتوب الله عليه ويغفر له ذنب هذا الشرك.

* ظهور الفكر التنويري بين أوساط المسلمين

جاء تعريف التنوير في اللغة:-

ففي لسان العرب لابن منظور، أن التنوير هو وقت إسفار الصبح، يقال قد نور الصبح تنويراً، والتنوير: الإنارة، والتنوير: الإسفار.

ويقال: صلى الفجر في التنوير، وفي المعجم الوسيط، استنار: أضاء.

ويقال: استنار الشعب: صار واعياً مثقفاً. وبه: استمد شعاعه. وعليه: ظفر به وغلبه.

ونور الله قلبه: هداه إلى الحق والخير، ويطلق اسم النور على الهداية كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:257]، أي الهداية ﴿وَمَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ [الأنعام:122]،

أي هداية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور:35]، أي هادي أهلها.

ويُعرّف التنوير اصطلاحاً:-

بأنه الاستخدام العام لعقل الإنسان في جميع القضايا، وتبني شعار «لا سلطان على العقل إلا للعقل»، وهو شجاعة استخدام العقل ولو كان ذلك ضد الدين وضد النص، والدعوة إلى تجاوز العقائد الغيبية، والإيمان بقدرة الإنسان الذاتية على الفهم والتحليل والتشريع، والدعوة إلى الدولة العلمانية، وتجاوز النص الديني أو إهماله أو تفسيره تفسيرات بعيدة عن سياقه وعن قواعد التفسير الموضوعي.

وهو الدعوة إلى المنهج التجريبي الحسي المادي واعتباره المنهج الوحيد الجدير بالثقة والاتباع ويطلق مصطلح التنوير في الخطاب العربي الحديث بشكل عام على حركة التوعية والتثقيف والتحديث والتجديد التي حدثت في العالم الإسلامي منذ قرنين من الزمان واتسمت بتأثرها بالطريقة الغربية وبإعجابها بالغرب وعلومه وتقدمه الفكري والعلمي وتبني النهضة والإحياء الذي عرف فيه في القرون الأخيرة، بل إن هناك من يقول بأن تيار التنوير في العالم العربي الحديث بدأ مع الحملة الفرنسية البونابرتية على مصر 1798م، وما أحدثته هذه الحملة من صدمة ثقافية وحضارية ووعي فكري وثقافي.

وقد وجدنا من ينظر إلى هذه الحملة اليوم نظرة إيجابية استحضانية، ويطالب بإعادة تقويم هذه الحملة وإعادة تحليل أهميتها وآثارها والحكم عليها من وجهة النظر التنويرية التقدمية التاريخية.

وقد نشأ هذا الفكر كردة فعل ضد تسلط الكنيسة على شعوب دول أوروبا في العصور الوسطى في تعطيل أعمال العقل في مجال العلوم الطبيعية.

وقد أخذ دعاة التنوير في البلدان الإسلامية بتطبيق هذه المبادئ على الشريعة الإسلامية ونصوص القرآن والسنة النبوية، وذلك بتحكيم عقولهم القاصرة تجاه الأحكام الشرعية ومقاصدها ونقدها وما وافق عقولهم قبلوه وما لم تقبل به يردوه، ولأجل ذلك قاموا برد بعض الآيات الأحاديث النبوية في التعامل مع الكافرين التي لا تتوافق مع فهمهم ورغباتهم، ومن وجهة نظري أن ظهور هذا الفكر في الآونة الأخيرة وانتشاره بقوة ودعمه من جهات خارجية مؤثر خطير لانحراف الشباب وذوي الفهم القاصر من كافة الأعمار والأجناس خلف هذا الفكر وانحرافهم عن العقيدة السلمية وبوابة للاتجاه للفكر الإلحادي الأمر الذي يتوجب التصدي له بكل قوة.

* **التعصبُ للتقاليد والعادات التي كان عليها الآباء**

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:170].

يقول الشيخ السعدي -رحمه الله-: «الأصل في العادات الإباحة إلا ما ورد عن الشارع تحريمه».

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: «الواجب على كل مسلم ألا يعتمد على العادات، بل يجب عرضها على الشرع المطهر، فما أقره منها جاز فعله، وما لا فلا، وليس اعتياد الناس للشيء دليلاً على حله، فجميع العادات التي اعتادها الناس في بلادهم أو في قبائلهم يجب

عرضها على كتاب الله وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - ، فما أباح الله ورسوله فهو مباح، وما نهى الله عنه وجب تركه وإن كان عادة للناس».

فعندما يكون مرجع التعامل مع الكافرين هي العادات والتقاليد وليس الشرع فحتماً سيكون هناك الخطأ والانحراف فلما تجد أحداً من المسلمين يترحم على أحد هؤلاء الكفار وتنهاه عن ذلك يكون الرد بأن عادات بلدهم أو عائلتهم وقبيلتهم هي السخاء المالي والنفسي واللين مع الآخرين مهما كانت ديانتهم وانتماءه فهنا يكون قد جانب الصواب وخالف الشرع ولم يلتزم بالعقيدة السليمة.

* تغليب جانب الوطنية على الدين:-

قال الشاعر ابن الرومي:-

ولي وطنٌ أليتُ ألا أبيعَه

وألا أرى غيري له الدهرَ مالِكًا

عهدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً

كنعمة قومٍ أصبحوا في ظلالِكا

فقد ألفتَه النَّفسُ حتى كأنه

لها جسدٌ، لولاه غودرتُ هالِكا

وحبب أوطانَ الرجالِ إليهم

مآربُ قضاها الشبابُ هنالِكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم

عهودَ الصبا فيها فحننوا لذلكا

ويعتبر حب الإنسان لبلده أمر فطري، وقد ورد في

القرآن الكريم ذكر أهمية الوطن وقرنه قتل الأُنفس بالإخراج من الديار؛ فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا

أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ [النساء:66].

وهنا يجب تعريف الوطن:-

فهو في اللغة:-

المتزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحلّه، وقد خففه رؤية في قوله: أوطنت وطناً لم يكن من وطني، لو لم تكن عاملها لم أسكن بها، ولم أرحن بها في الرجن.

واصطلاحاً:-

تعني «العضوية الكاملة والمتساوية في المجتمع بما يترتب عليها من حقوق وواجبات، وهو ما يعني أن كافة أبناء الشعب الذين يعيشون فوق تراب الوطن سواسية بدون أدنى تمييز قائم على أي معايير تحكّمية مثل الدين أو الجنس أو اللون أو المستوى الاقتصادي أو الانتماء السياسي أو الموقف الفكري».

ولكن ينبغي أن يكون حب الوطن مقيداً بأحكام الشرع؛ فلا يجوز أن يكون البلد أحبّ إلى المسلم من الله ورسوله وجهاد في سبيله، وإلا كان المرء مهتداً من الله، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:24].

لقد تجلّت الرّعة القوميّة والوطنية والعصبية حينما تفلّنت أوروبا من الوحدة النصرانية التي جمعتها، بعد وجود رجال الحركة الإصلاحية، وصار الشحن النفسي والاستعداد للدفاع عن هذه العصبيات يزداد حيناً بعد حين إلى أن تعمق

أواصر الوطنية والقومية والتعصب المنشود لهما، وصارتا رمانة الميزان بل بين كفتيه، وصار الدين والوطنية كلما رجحت كفة إحداهما طاشت الأخرى. وبحكم النفخ والحشد النفسي للتعصب للوطنية والقومية وإضعاف النسيج الديني لدى الأوربيين، ظلت العصبية الوطنية - كما يقول (إدوارد لوتين) - «تقوى وفي المقابل تحف كفة الدين كل يوم».

«واستعملت الوطنية والقومية بدلاً من الإسلامية، وكان ذلك من خلال ذلك تفتيت الوحدة، وتقسيمها إلى قوميات وأجمع تتصارع فيما يريد، وذلك وذلك في الأساس قُسمت الأمة، إلى دويلات، يعمل هذا العمل على تقسيمها إلى دويلات -روح الكراهية والحقد- أصبح يشتغل قطرها في العمل أساس العداوة في أكثر الأحيان، وأصبحت المودة، تسير مع المصلحة الخاصة، وقد تكون مع الدولة الكافرة الإسلامية، بينما العداوة الدولة».

ومن هذا الفكر والمنطلق فقد يترحم الإنسان على أحد أفراد وطنه ولو كان غير مسلم من مبدأ المواطنة ويقدمها على الدين والمعتقد، وأذكر هنا شبهة يوردها البعض في رفع مستوى الوطنية وهو حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- عن مكة «والله إنك لخير أرض لله، وأحب أرض لله إلى الله، ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت».

فيقول العلامة العثيمين -رحمه الله- رداً على هذه الشبهة: «أما احتجاج بعض دعاة الوطنية بقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- لمكة: «إنك أحب البقاع إلى الله» فلا حجة لهم في ذلك؛ لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يقل: إنك أحب البلاد إليّ، بل قال: «أحب البقاع إلى الله» ولذلك قال: «ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت»

فلم يقل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذلك من أجل الوطنية وإنما من أجل أن مكة أحب البقاع إلى الله تعالى، وهو -صلى الله عليه وسلم- يحب ما يحبه الله».

* السفر للخارج والاحتكاك بالثقافات الأخرى

لا شك أن في السفر إلى بلاد الكفار مخالفة صريحة لأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- فغن جرير -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، لا تترأى نارهما»، إلا في حالات استثناءها علماء الإسلام كالمجاهد في سبيل الله، أو السفر للدعوة إلى الله، أو للعلاج، أو للدراسة في تخصص يتعذر دراسته في بلاد المسلمين، أو لغرض التجارة، وكل ذلك مشروط بأن يكون مظهرًا لدينه، عالمًا بما أوجب الله عليه، قوي الإيمان بالله، قادراً على إقامة شعائره.

وما يسببه السفر للخارج من التعرض للمغريات والفتن والفواحش في بلاد الكفر ومع مشاهدة عقائدهم ودينهم ويستمرى الإنسان المسلم ذلك فإن له تأثير بالغ في كون هذه الأشياء تكون عادية بالنسبة له وهون في نفسه معادتهم وبغضهم وصولاً لدرجة مودتهم ومحبتهم ومن ثم الدعاء بالرحم والمغفرة لمن مات منهم.

* العوامل المؤثرة في حدوث ظاهرة الترحم على الكافر

إن من العوامل المؤثرة لحدوث ظاهرة الترحم على الكافر وتساهل الناس في هذا الباب هي السيطرة الغربية وخاصة من الدول التي تسمى بالعظمى عبر وسائل متعددة؛ منها:-

أولاً: التغريب

* الطرق الثقافية والإعلامية

وهي طرق تقوم على الحرية الفكرية والتجاوز على الحدود الشرعية وقضايا الدين الإسلامي بدعاوى الإبداع والفن وتستعمل فيها الوسائل الإعلامية: الصحف، والمجلات، والروايات، والكتب، والقصص.

ثانياً: الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي

الاستعمار هو من أكبر المصائب التي حلت بالعالم الإسلامي وأثرت فيه بشكل كبير في جميع مفاصل الحياة، وقبل أن نشرح بيانه تأثيره في موضوع البحث يتوجب علينا معرفة معناه ومفهومه:-

١- الاستعمار لغةً: هو طلب التعمير والسعي لتحقيق العمران قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:61].

٢- الاستعمار اصطلاحاً: يطلق على استيلاء شعب بالقوة العسكرية على شعب آخر لنهب ثرواته واستغلال أرضه، وتسخير طاقات أفراد لمصالح المستعمرين. ويرافق ذلك اتخاذ منخططات تحول هذا الشعب عن دينه ومفاهيمه ومبادئه إلى ما عليه دولة الشعب الغالب المستعمر من مبادئ ونظم وعادات إذا كان بين الغالب والمغلوب تباين في ذلك.

* أهداف الاستعمار

- ١- ديني لهدم الإسلام وتفريق صف المسلمين.
- ٢- اقتصادي يكمن في استغلال ثروات الدول الإسلامية.
- ٣- سياسي للسيطرة على الدول الإسلامية المسلمين والتحكم في أنظمتها وفي الشأن الاجتماعي الخاص بها.

يُعرف التغريب بأنه تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية.

وهناك نماذج متعددة لأشكال التغريب تعود في جذورها إلى نهايات الخلافة العثماني، وتعرج على عصر النهضة العربية التي انطلقت من كل من مصر والشام، لا سيما لبنان بشكل أوضح بالنسبة للشام، وربطها بالنهضة المصرية، وهناك أسماء معروفة لها جهودها في هذا المسار، وكانت لها إسهاماتها الفكرية في مجالات الفكر والسياسة والثقافة والأدب، متبعاً الأساليب التالية:-

* الطرق السياسية

تمارس القوى العظمى بواسطة أدواتها ضغوطاً سياسية، كـمجلس الأمن، وهيئة الأمم المتحدة، والمنفرع منها من أجهزة وقطاعات على العالم الثالث وخاصة الإسلامية لتنفيذ خططها التغريبية، تحت مظلة: الإصلاح، والديمقراطية، والتعددية السياسية في الحكم، والليبرالية، وحقوق الإنسان.

* الطرق الاقتصادية

فرض قواعد التجارة الحرة في العالم الإسلامي، والتي تجيز كافة أنواع البيوع، سواء المباحة أو المحرمة بغرض زيادة الأرباح، وفرض زيادة فرص عمل المرأة، ودخولها سوق العمل المختلط بالرجال كعامل جذب اقتصادي.

ويعتقد الغرب أن قوة المسلمين والعرب على وجه الخصوص تكمن في عقيدة الدين الإسلامي، تلك هي الإجابة «الشفافية» التي توصل إليها الغرب، بعد أن انكبّ على دراسة أسرار تفوق العرب حضارياً ومادياً في غضون قرن من ظهور الإسلام، بعد أن كانوا شعوباً ضعيفة متفرقة، لا تجمعهم وحدة ولا قوة، وبعد أن شكّل انتشار الإسلام «صدمة» فجائية للغرب المسيحي؛ فالعرب أرسلوا «صدمة عفوية» للغرب، في إطار دعوتهم للدين الإسلامي، لكنهم تلقوا «صدمة مقصودة» من الغرب وفق نهج عسكري وسياسي وثقافي، في غضون مراحل الصراع التاريخي.

لقد حاول الغرب ومن خلال الاستعمار الأوروبي المباشر على الشعوب العربية، فرض ثقافته واستعراض تفوقه العلمي والمادي والحضاري على المنطقة، ما شكّل «صدمة» فكرية وثقافية لدى الشعوب العربية التي استنجدت في القرنين التاسع عشر والعشرين بمبادئ وقيم الحضارة الغربية الجديدة للخلاص من حالة «الركود» الثقافي والحضاري والعودة إلى سكة النهضة والعمران.

وتمثلت تداعيات الصدمة في ثلاث تيارات فكرية عربية؛ أولها دعا إلى التغريب لمواكبة التقدم الغربي، وثانيها نادى بالأصالة الإسلامية والعودة إلى ماضي السلف، وثالثها تيار قومي ركّز على الوحدة العربية، بعد سقوط الخلافة العثمانية.

وبعد أن استيقظ العرب والمسلمون على عصر ما بعد النهضة في أوروبا، «أخذهم الحيرة في شأن التعاطي مع الآخر، حيث تراوحت ردود الفعل بين الاعتزال والخصام والتمرد والمقاومة»، فيما حاول توجه معتدل الدعوة إلى

«الأصالة والحدائث» في نفس الوقت أي التمسك بالثوابت الثقافية للإسلام والعرب، والاستفادة من التطور الحضاري المادي للغرب، دون انفصال أو انفصام.

ويرى الكثير من الغربيين في أوروبا والولايات المتحدة، أن التهديد العربي ازداد قوة نحوهم بسبب ارتباطه بالتطرف الديني، بعد ظهور حركات إسلامية متشددة في المنطقة العربية، ترفض بشكل مطلق الوجود الغربي في الأراضي العربية.

وأن هذا التطرف هو الذي أنتج أحداث سبتمبر الأمريكية عام 2001م، لكن سرعان ما اتسعت دائرة الخطر الإسلامي تجاه الآخر، من وجهة نظر الغرب، فأصبح الخطر يأتي أيضاً من دول عربية وإسلامية (إيران، العراق، أفغانستان)، لقد بات العربي أو المسلم في نظرهم «مشروع إرهابي» حتى يثبت العكس، حيث أصبح «الإرهاب» صفة ملاصقة للعرب والمسلمين.

ويرى الغرب أيضاً، أن العرب والمسلمين لا يقدرّون على ممارسة الديمقراطية ولا يستحقّون حقوق الإنسان، كما في الدول المتقدمة، فيما يعتقد بعض المنظرين في الغرب أن حقد العرب مرجعه الاستقرار السياسي والتقدم التكنولوجي والاقتصادي وحياة الرفاهية الغربية.

وقد اتبع الاستعمار بعض الوسائل المتبعة لتحقيق أهدافه الاستعمارية والتي أثرت على العقيدة الإسلامية والنظرة للغرب؛ ومنها:-

١- نشر الدعوات والتنظيمات السياسية التي تسعى إلى تحقيق الاستعمار الأوربي؛ إذ شجعوا ظهور بعض الطوائف

والمذاهب الدينية التي تدعي الإسلام ظاهراً كالبهائية، والتي تعرف بجذورها اليهودية.

٢- عملت الدول الأوربية على إدخال فكرة العلمانية في العالم الإسلامي بهدف إيجاد أجيال مسلمة تؤمن بعقائد غريبة على مجتمعاتنا الإسلامية التي تعيش فيها من خلال المؤسسات العلمية.

٣- إثارة القوميات والشعوبيات المختلفة بين المسلمين.

٤- إن المستعمر لا يختار موظفي الدولة من المسلمين؛ فالمسلمون يجب أن يكونوا أقلية في جهاز البلد الخاضع للاستعمار. ثم إن المسلمين القليلين في جهاز الدولة لا تلقى إليهم مقاليد المناصب الرئيسة أبداً.

٥- حرص المستعمر على إفساد الأجيال الناشئة باعتبارهم صحائف بيضاء لها قابلية التأثر لأنها أمه الغد، فيفسدون أخلاقهم ويجعلونهم غرباء في أوطانهم.

٦- القضاء على حركة الجهاد الإسلامي ودس الدسائس لإثارة الحروب بين المسلمين بغية تعميق العداوة والبغضاء فيما بينها وإضعاف قواها جميعاً.

٧- إن المستعمر إذا نزل بلداً اتخذ أعوانه من الأقليات المستوطنة أو الطارئة.

* النصوص الدالة على أن الكفار في النار والنهي عن الاستغفار لهم

هناك أمر يجدر الإشارة إليه، وهو أن عدم ترحمنا على غير المسلم المعين ليس معناه أن نحكم عليه بأنه من أهل النار قطعاً، فهذا لا يجوز وقد ذهب جمهور العلماء إلى عدم الحكم على غير المسلم المعين بأنه من أهل النار، إلا من ثبت

بالوحي أنه من أهل النار فعلاً، كفرعون وأبي جهل وأبي طالب وغيرهم ممن جاء ذكرهم في القرآن الكريم.

وهذه بعض النصوص الدالة على أن حكم أن الكفار في النار خالدين فيها، وأن الجنة عليهم حرام؛ وأنه تعالى لعنهم، ولن يغفر لهم، ونهى تعالى عن الاستغفار لهم، وبيان أنهم شر المخلوقات.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: 161-162].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 6].

وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: 68].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: 91].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 36].

وقد بين الله تعالى أن الشرك محبط للعمل: ﴿لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65].

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ
فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: 23].

وفي صحيح مسلم عن عائشة قلت: يا رسول الله،
ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين،
فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر
لي خطيئتي يوم الدين».

وعن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- قال: قلت:
يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم، وكان يفعل ويفعل
قال: «إن أباك أراد أمراً فأدركه» يعني: الذكر.

وإنما يجوزون بأعمالهم الحسنة في الدنيا، ففي صحيح
مسلم عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، قال: قال رسول
الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة،
يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم
بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة،
لم تكن له حسنة يجزى بها».

ونهى الله تعالى عباده عن الاستغفار للكفار:-

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ
يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: 113].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه-
قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «استأذنت ربي
أن أستغفر لأمي؛ فلم يأذن لي».

فهذا رسول الله أكرم الخلق على الله، منعه ربه من
الاستغفار لأمه مع أنها ماتت قبل بعثته. فلا يمنع رسول الله
من الاستغفار لأمه، ويؤذن لأحد المسلمين أن يستغفروا لمن
جاء بعد بعثته.

وقد اتفقت أقوال المذاهب الأربعة على حرمة
الاستغفار للكافرين، والمشركين، والترحم عليه قال
السرخسي -رحمه الله- من أئمة الحنفية: «وإذا وجد ميت لا
يُدرى أمسلم هو أم كافر؛ فإن كان في قرية من قرى أهل
الإسلام فالظاهر أنه مسلم فيغسل ويصلى عليه، وإن كان في
قرية من قرى أهل الشرك فالظاهر أنه منهم فلا يُصلى عليه
إلا أن يكون عليه سيما المسلمين».

وعند المالكية قال القرطبي -رحمه الله-: «فطلب
الغفران للمشرك مما لا يجوز».

وقال النووي الشافعي: «ولا تجوز الصلاة على
كافر حربياً كان أو ذمياً».

أما عند الحنابلة قال ابن قدامة -رحمه الله-: «وأما
أهل الحرب فلا يُصلى عليهم؛ لأنهم كفار، ولا يقبل فيهم
شفاعة، ولا يُستجاب فيهم دعاء، وقد نهينا عن الاستغفار
لهم، وقال الله تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَلَا تُصَلِّ
عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقَمِّمَ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: 84]،
وقال: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾
[التوبة: 80]».

* خاتمة

ولما ذكرت من مسائل وأقوال ذات أهمية شرعية
وعلمية وفكرية ينبغي معرفتها في مسألة الترحم على الكافر،
فليجتهد المؤمن في تحقيق العلم والإيمان، وليتخذ الله هادياً
ونصيراً، وحاكماً وولياً، فإنه نعم المولى ونعم النصير، وكفى
بربك هادياً ونصيراً.

وإن أحب دعا بالدعاء الذي رواه مسلم وأبو داود
وغيرهما، عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله

* توصيات البحث

هناك ثمة توصيات يستحب ويفضل العمل بها تجنباً للوقوع في مثل هذه الانحرافات العقديّة والسلوك الانهزامي مع العدو الكافر؛ منها:-

١- الرجوع إلى كتاب الله -عز وجل- وإلى سنة رسوله وهو أهم عمل يجب تنفيذه من قبل الفرد والأنظمة المسلمة في كافة تعاملاتها.

٢- العناية بتدريس العقيدة الصحيحة في مختلف المراحل الدراسية.

٣- دعم العلماء والدعاة في الدول الإسلامية بنشر عقيدة السلف في أوساط الناس من خلال المحاضرات في المساجد والمراكز التعليمية، والمشاركة الإعلامية في الدعوة.

٤- إيجاد (مرصد فكري) يقوم برصد الاتجاهات الفكرية المخالفة للعقيدة على أسس علمية دقيقة في الرصد والتحليل، والرد عليها.

٥- إقامة منتديات فكرية في المدن الرئيسية في الدول الإسلامية تستقطب الشباب المهتمين بهذا الشأن، وقيام طلبة العلم المتخصصين عليها، وتهدف للحوار والمناقشة للأفكار المعاصرة ومعالجة الشبهات.

* المراجع

- ابن القيم بدائع الفوائد.
ابن الوزير إينار الحق على الخلق.
ابن باز مجموع فتاوى ومقالات.
ابن تيمية مجموع الفتاوى.
ابن تيمية الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.
ابن حبان الصحيح.

عليه وسلم:- كان إذا قام يصلي من الليل يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

وإنه لن تقوم للأمم الإسلامية قائمة إلا بالرجوع إلى الله، والاجتماع على الحب فيه والبغض فيه، والولاء له والبراء ممن أمرنا بالبراء منه.

وختاماً لهذا البحث يبين الباحث النتائج التي توصل لها من خلال بحثه:-

* نتيجة البحث

١- جهل كثير من أبناء المسلمين بالعقيدة الإسلامية الصحيحة على وجه العموم وبالعقيدة الولاء والبراء على وجه الخصوص.

٢- تجدد الشبهات العقديّة مع تجدد الأحداث على مرور الزمان.

٣- استغلال اعداء الإسلام وسائل الإعلام بكافة أنواعها لنشر شبهاتهم بقصد اضلال المسلمين والسيطرة على افكارهم.

٤- تقيّد المسلمين بعاداتهم وتقاليدهم أشد من تقيدهم بدينهم وعقيدتهم.

٥- وجود العوامل الخارجية المؤثرة في خلخلة عقيدة المسلمين مثل التغريب والاستعمار.

- ابن سعدي التفسير.
- ابن فارس مقاييس اللغة.
- ابن فارس مقاييس اللغة.
- ابن قدامة المقدسي المغني.
- ابن قدامة المقدسي روضة الطالبين.
- ابن منظور لسان العرب.
- أبو داود السنن.
- أحمد (36/5)، والدارمي، وأبو داود.
- أحمد (6/6)، والبُخاري (107/2).
- أحمد الزيات وآخرون المعجم الوسيط.
- أحمد المسند.
- الأزهري تهذيب اللغة.
- أنس الغنام الأدلة على عدم جواز الترحم على غير المسلم بعد موته، مع رد شبهات المجيزين.
- البخاري الجامع الصحيح.
- بكر بن عبد الله أبو زيد، معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ.
- الترمذي السنن.
- الجرجاني التعريفات.
- جريدة المسلمون.
- الخصاص أحكام القرآن.
- جيلالي أبو بكر، موقف الفكر العربي المعاصر من الحضارة الغربية بين السلب والإيجاب، مجلة الحكمة، الجزائر، العدد، 2012م.
- الدكتور عبد اللطيف الشيخ توفيق الشيرازي الصباغ مصطلح التنوير: مفاهيمه واتجاهاته في العالم الإسلامي
- الحديث «نظرة تقويمية»
- <http://www.fiqhacademy.org.sa/fislamicg/3.pdf>
- الراغب المفردات.
- رشيد رضا تفسير المنار.
- الزبيدي تاج العروس.
- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رسالة أوثق عرى الإيمان.
- ضميرية مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية.
- عبد الرحمن الوائلي، العرب والغرب: إشكاليات المعرفة وملازمات المنهج، مجلة الكلمة، قبرص
- www.kalema.net/v1/?rpt=388&art
- عبد الله الجبرين تسهيل العقيدة الإسلامية.
- عبد الوهاب المسيري، الإسلام والغرب، موقع الجزيرة نت، وجهات نظر، 2004/12/26م
- www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2004/12/26
- عبد الرحمن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة.
- العثيمين القول المفيد على كتاب التوحيد.
- العكبري الحنبلي رسالة في أصول الفقه.
- علي النملة، التغريب من منطلقات العلاقات الشرق والغرب التغريب.
- القحطاني الولاء والبراء في الإسلام.
- القرطبي الجامع لأحكام القرآن.
- قضايا إسلامية معاصرة - أ.د. حسن العلكيم (ص55-56).
- لأي الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين.

لقاء الباب المفتوح (48/7).

الميسوط (54/2).

محمد الشثري، التنصير في البلاد الإسلامية.

مسلم.

المُطرزّي المغرب في ترتيب المغرب.

منعم سري، صراع الحضارات: سوء تفاهم بين الإسلام

والغرب، من كتاب: الإسلام والحداثة: الانسحاب

الثاني من مواجهة العصر، دار الأهلّة للنشر،

عمان، 2010م، ص 69.

مني مكرم عبيد، المواطنة.

نعمان عبد الرزاق السامرائي إعداد الندوة العالمية للشباب

الإسلامي:

<http://www.saaaid.net/feraq/mthahb/76.htm>

الواحدّي التفسير البسيط.